



ترجمة وتعريب العلوم ضرورة حتمية.. أين نحن منه؟



أ.د. عبد الله بن محمد الشعلان

قسم الهندسة الكهربائية - كلية الهندسة
أستاذ كرسي الزامل لترشيد الكهرباء
جامعة الملك سعود - الرياض

لقد تمكنت اللغة العربية منذ الأزل من أخذ مكانتها اللائقة بها بين اللغات العالمية الحية في مجالات العلوم والتقنيات الحديثة بجانب مكانتها السامية التي أحرزتها وتبوأتها عبر تاريخها الطويل في مجالات العلوم الدينية والشرعية، وفي مضامير الشعر والأدب والتاريخ والجغرافيا، وناهيك عما وصلت إليه في ميادين الرياضيات والفلك والطب والكيمياء والصيدلة. وعلى هذا الأساس يطالب الكثير من أساتذة وطلبة كلياتنا العلمية في جامعاتنا العربية بضرورة تدريس المواد العلمية باللغة العربية نظراً لكونها لغتهم الأم التي يسهل بواسطتها إيصال المعلومات تعليمياً وتعلمياً وتلقيناً وتلقياً. ولا يزال التعليم في كلياتنا العلمية مثل الطب والهندسة وتقنيات المعلومات وبقية العلوم كالفيزياء والأحياء والكيمياء والرياضيات ينهج حتى الآن نحو اللغات الأجنبية التي هي لغاتنا الأصلية.

ولعل من المنطق أن أقصر بل وأفضل طريقة لتوصيل المعلومات إلى الطالب العربي هي استخدام اللغة العربية، لذا لو قامت حركة جادة لترجمة العلوم وتعريبها والتأليف

فيها لتمكنت اللغة العربية من ترسيخ وتعظيم مكانتها اللائقة بها بين اللغات العالمية الحية في مجالات العلوم والتقنيات الحديثة بجانب مكانتها السامية التي أحرزتها وتبوأتها عبر تاريخها الطويل في مجالات العلوم الدينية والشرعية، وناهيك عما وصلت إليه في ميادين الشعر والأدب والتاريخ والجغرافيا والرياضيات والفلك والطب والكيمياء والصيدلة.

فإذا نظرنا لعمليتي الترجمة والتعريب كمنطلق لتحقيق هذا المطلب لوجدنا أنهما لفظان متلازمان، فالترجم إلى العربية لا بد له أن يصادف ما يصعب عليه تعريبه في المصطلحات العلمية والمسميات التقنية في لغاتنا الأصلية، فني مجال الكيمياء مثلاً وقف المترجمون حيارى أمام أسماء معظم العناصر الكيميائية ولم يكن أمامهم من مخرج لتعريبها، فدخلت إلى العربية كلمات مثل: الكوبالت ولنيتروجين والمغنيسيوم والأكسجين والهيدروجين ومئات غيرها. وفي ميادين الطب والصيدلة ظهرت لنا كلمات معربة مثل: الأسبرين والبنتسلين والهيموجلوبين، وحدث

نفس الشيء في ميادين الرياضيات والفيزياء والحاسوب وغيرها من العلوم البحتة نتيجة للغزو الهائل من الصناعات والاختراعات والابتكارات التي تهال علينا وتترى حولنا من كل حذب وصوب.

كما أفادت اللغة العربية من الترجمة والتعريب مما زادها تألقاً وثراءً وتوسّعاً وانتشاراً وعاليةً وثراءً، حيث إن اللغة العربية لغة مرنة وسلسة وطبقة تقبل الألفاظ الأجنبية والمصطلحات التقنية وذلك لسهولة النحت والتصريف والاشتقاق والقياس فيها، بيد أنه لا يتم القيام بعملية التعريب إلا عند الحاجة والضرورة. لذا يستحسن عند تعريب الألفاظ والمصطلحات الأجنبية أن يراعى ما يلي:

1 - يفضل التعبير ما أمكن في شكل المصطلح حتى يصبح موافقاً للصيغة العربية ومضاهياً لها، فمثلاً عندما ترجمت كلمة: تلفزيون إلى العربية وأصبحت (الرائي أو المرناة) لم تجد هذه الكلمة العربية قبولاً مستساغاً بين أوساط الناس فكان لا مندوحة من تعريب الكلمة الأجنبية مع بعض التغيير الذي يضاهي العربية فأصبح لدينا كلمة: تلفاز (وإن كانت غير مستخدمة على نطاق واسع). كما نجحنا في تعريب كلمة: تلفون لتصبح: الهاتف (وإن كانت الأولى لا تزال مستخدمة كلفظها الأصلي) وكذلك: كمبيوتر إلى حاسب آلي أو حاسوب وكذلك راديو إلى مذياع. وعند تعريب المصطلح العلمي يمكن كتابته باللغة العربية بصيغة أو بنوية متوافقة مع المحافظة على لفظه ومعناه قدر المستطاع، فمثلاً كلمة: تلفزيون عربت تلفاز، وكلمة: فيزيكس عربت فيزياء، وكذلك تكنولوجيا أصبحت: تقنية وماستر صارت ماجستير وكوليج: كلية، وبتروليوم: بترول، وهكذا، وناهيك عن أسماء الدول التي يعرفها القارئ ولا داعي لذكرها هنا.

2 - يجب اعتبار المصطلح العربي بحيث يخضع لقواعد اللغة ويجوز فيه الاشتقاق والنحت والتصريف وتستخدم فيه أدوات البدء والإلحاق مع موافقته للصيغة العربية، وهنا بعض الأمثلة:

دكتور: يمكن جمعها جمع تكسير فتصبح: دكاترة.
بروتون، نيوترون: يمكن جمعها جمع مؤنث سالم فتصبح: بروتونات، نيوترونات.

أكسيد: يمكن اشتقاق فعل منها فتصبح: يتأكسد، أو جمعها: أكاسيد.

إلكترون: يمكن إلحاقها بأل التعريف فتصبح: الإلكترون (الإلكترونيات) أو صفة (معدات إلكترونية).

3 - يجب تصويب الكلمات العربية التي حرفتها اللغات الأجنبية واستعمالها باعتبار أصلها الفصح، فمثلاً كلمة: syrup أصلها العربي: شراب، وكلمة: alcohol أصلها العربي: الكحول، وكلمة: gas أصلها العربي: غاز، وكلمة: arsenic أصلها العربي: الزرنيخ، وكلمة: naphtha أصلها العربي: نפט، وكلمة: cave كهف، وكلمة: guide قائد، وهكذا.

4 - ثمة كلمات أجنبية دخيلة (وما أكثرها) اقتحمت واخترقت لغتنا العربية دونما استئذان فاستباححت ساحتها

وفرضت نفسها عليها واحتلت مكاناً بين مفرداتها، ويعدُّ هذا أحد عيوبنا في السماح لها والتغاضي عنها بل والترحيب بها ومن ثم استخدامها دونما وعي أن في العربية معاني ومترادفات تحل محلها وتغني عنها، فخذ على سبيل المثال: ماراثون: سباق، كود: نظام، لوبي: تأثير، كلاسيكي: تقليدي، رومانسي: عاطفي، دراما: مشكلات نفسية وعاطفية، كوميديا: مرح، تراجيديا: مأساة، كنترول: تحكم، تكنولوجيا: تقنية، إلى جانب مسميات مستجدة أخرى لا بد من إيجاد صيغ ومعانٍ أو مرادفات لها مثل: مول وجاليريا وبلازا، إلخ.

ولعل من قبيل التقدير والاعتراف بالفضل والامتنان أن نذكر بعضاً من الجهات على سبيل المثال لا الحصر التي كان لها دور في مجالات الترجمة والتعريب وتوحيد المصطلحات، وهي:

1 - هيئات التقييس (للمواصفات القياسية): ونذكر منها على سبيل المثال لا الحصر الهيئة السعودية للمواصفات والمقاييس والجودة وهيئة التقييس الخليجية والشعبة القومية المصرية للمواصفات والمقاييس وهيئة المواصفات والمقاييس العربية السورية حيث دأبت هذه الهيئات الرسمية المعنية بالتقييس على ترجمة الكثير من المواصفات القياسية الصادرة من الهيئة الكهروتقنية الدولية (IEC) لشتى أنواع السلع الغذائية والمنتجات الصناعية والتقنية وتم مراجعتها وتدقيقها من قبل لجانها الفنية المتخصصة. وحرصاً من تلك الهيئات على إنجاح عملية ترجمة المواصفات القياسية فقد سعت إلى إلحاق كل مواصفة بقائمة من المصطلحات الفنية، وكان لها تعاون وتسيق في هذا المجال مع دول عربية أخرى في مجال تعريب المصطلحات الفنية وتوحيدها، ولم يقتصر دور تلك الهيئات عند هذا الحد بل تم إيصال تلك المصطلحات المعربة إلى موقع الإلكترونيديا (Electropedia) الخاص بالمصطلحات التقنية العالمية (IEV) التابع للهيئة الدولية الكهروتقنية (IEC) لتصبح ضمن مصطلحات مترجمة لعشر دول أوروبية أخرى.

2 - الجامعات العربية: أنشئ في أغلب جامعاتنا العربية أقسام متخصصة في اللغات والترجمة ومراكز للترجمة، وهي بلا شك تقوم على عاتقها ضمن خططها الدراسية وبرامجها العلمية في حل المعضلات وإزالة العقبات التي تقف في وجه طلاب الدراسات العليا في الكليات العلمية التي يرونها عائقاً دون كتابة رسائلهم (للماستر والدكتوراه) باللغة العربية لغياب ترجمات معتمدة وموثوق بها للمفاهيم التقنية والمصطلحات العلمية. كما تسعى تلك الجامعات عبر جهود الترجمة إلى إثراء المحتوى العلمي والتقاليف في التخصصات العلمية في الجامعات من خلال تعريب الكتب والمراجع العلمية المتخصصة وترجمة الدوريات العلمية والأبحاث المتميزة الصادرة في الجامعات إلى اللغات العالمية الأخرى.

3 - مكتب تسيق التعريب: ومقره في مدينة الرباط

بالمغرب وهو تابع للمنظمة العربية للترجمة والثقافة والعلوم، وله نشاط مشهود في إصدار المعاجم اللغوية وتعريب المصطلحات التقنية مُميّناً ومُسانداً في هذه الجهود نحو إنهاء تباين وتشتت المصطلحات والمترادفات في الدول العربية وساعياً نحو تقريبها وتجانسها وتوحيدها، وهو مجال بذلت فيه المنظمة وجهازها المتخصص (مكتب تسيق التعريب)، مجهودات متميزة، لتمكين اللغة العربية من استعادة دورها في النهضة العلمية، والتعبير عن كل المنجزات الحضارية والتقنية في كل مناحي الحياة المعاصرة نحو إيجاد المقابلات العربية لأدق المصطلحات العلمية والتقنية الجديدة، والعمل على تسيقها وتوحيدها وإقرارها في مؤتمرات التعريب، التي يعقدها المكتب، والتي تشارك فيه كل الدول العربية.

4 - المركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف والنشر: وهو جهاز متخصص مقره دمشق، تابع للمنظمة العربية للترجمة والثقافة والعلوم، يقوم بتحقيق أهدافه وأداء مهامه في المساعدة على تعريب التعليم العالي الجامعي بفروعه وميادينه كافة في الوطن العربي، بما في ذلك تأمين حاجات التعريب من المراجع والكتب والدراسات والبحوث والمستخلصات ترجمة وتأييماً ونشرًا وتوزيعًا، كذلك التعاون مع الجهات المختصة ومنها مجامع اللغة العربية، ومراكز البحوث، واتحاد الجامعات العربية وسائر الجهات المعنية الأخرى العربية والدولية، إلى جانب تسيق مجهودات الترجمة والتأليف التي تتم في الوطن العربي وتنشيط تبادل الخبرات والمطبوعات بين المؤسسات العربية العاملة في هذا الميدان.

وأخيراً، إن تعريب العلوم ليس هدفاً مستحيلًا أو مستعصياً أو بعيد المنال بل أضحي مطلباً وطنياً ملحاً في بلداننا العربية وضرورة حتمية أملت ظروف عصر تنفق فيه الإبداعات والابتكارات بشكل متلاحق وتحتدم فيه التغيرات التقنية والمعلوماتية على نحو مذهل، ولا يجمل بنا نحن أبناء اللغة العربية أن نقف مكتوفي الأيدي أو كمتخرجين وكأن الأمر لا يعنيننا، كيف لا ولغتنا العربية هذه لغة ثرية في مفرداتها غنية في اشتقاقاتها جزلة في مدلولاتها ومعانيها شرفها الله عزَّ وجلَّ بأن جعلها لغة كتابه الكريم الذي أنزله على أشرف الخلق أجمعين، إذ يقول عز من قائل: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (يوسف: ٢)، وكذلك ﴿قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ (الزمر: ٢٨)، وقوله عز من قائل: ﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾ (طه: 113)، وقوله أسدق القائلين: ﴿كَتَبْتُ فُصِّلَتْ أَيْتُهُ، قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ (فصلت: 3)، وقوله جل وعلا: ﴿نَزَّلَ بِهِ الرُّوحَ الْأَمِينُ﴾ (١٣٧) ﴿عَلَى قَلْبِكَ لِيَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ﴾ (١٣٧) ﴿يَلِسَانَ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾ (الشعراء: الآيات 193 - 195).